الصورة... في الثقافة الشعبية

الصورة (الشعبية) الاولى تجسيد لكائن معروف او مستوحى من طقس انساني محسوس، اذكان انسان الكهوف يجسد تصوراته ومخاوفه وهويعايش الكهف لايام او اشهر على جدرانه، وعندما تطورت الحياة المدنية وصارت الصورة تجسيدا لوعي وتشكيلا فنيا متطورا لا يبنى على هواجس بل من اجل تحقيق غاية فنية، صارت الصورة الشعبية البسيطة (ولابد لها من ان تكون كذلك) تحقيقا لفن شعبي يقصد المحاكاة لشكل واقعي متخيل،مثال ذلك: صورة الفارس والوحش – صورة عنترة – بنت المعيدي –الزير سالم – ابوزيد الهلالي يبارز الزناتي – حسن ونعيمة –المارد وصياد السمك –الحمال والسبع بنات – قمر الزمان – تودد الجارية – المياسة والمقداد...الخ من الصور والرسوم الشعبية.

ان لكل صورة من هذه الصور الشعبية تاريخ فولكلوري او واقعي، والتاريخ الفولكلوري قد يعتمد على تاريخ واقعي او واقعي محور مأ ثور، والمعنى هنا أن الصورة التاريخية تنصنع فولكلوريا..من جديد.

من ذلك يتبين ان الصورة (الشعبية) نتاج تراكمات معرفية، وان يد الفنان الشعبي لا تمسك الفرشاة ويختار العقل الشعبي اللون الا نتيجة لفكر ووعي خاصين أتيا من طبقات الخبرة البشرية المتراكمة في هذا النوع من النشاط الانساني.

ان دراسة متأنية لفكرة الصورة الشعبية وتاريخها في البحوث الفولكلورية تظهر نتائج غاية في الاهمية والجمال الفكري، وبذلك تتحقق غايةمن غايات العمل الفولكلوري.

المحرر

ستديو ثقافة شعبية

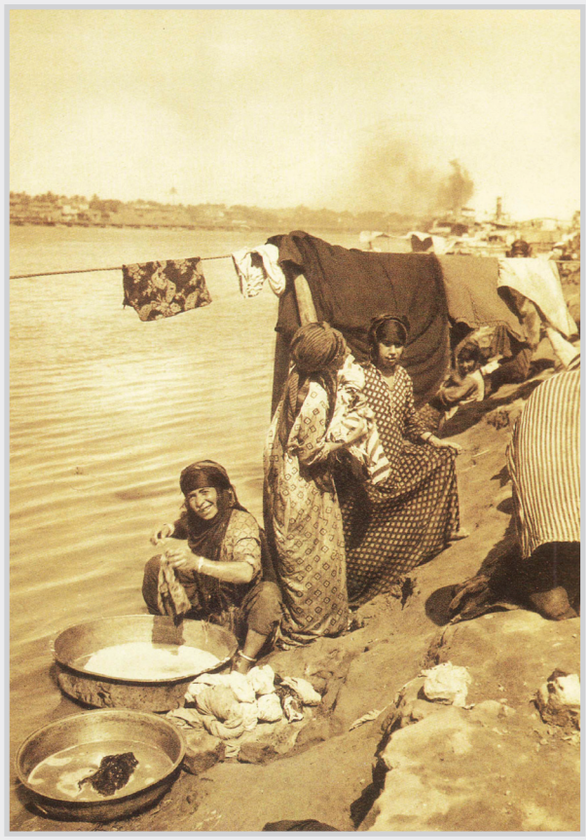

نساء يغسلن الملابس على دجلة في بغداد العشرينيات

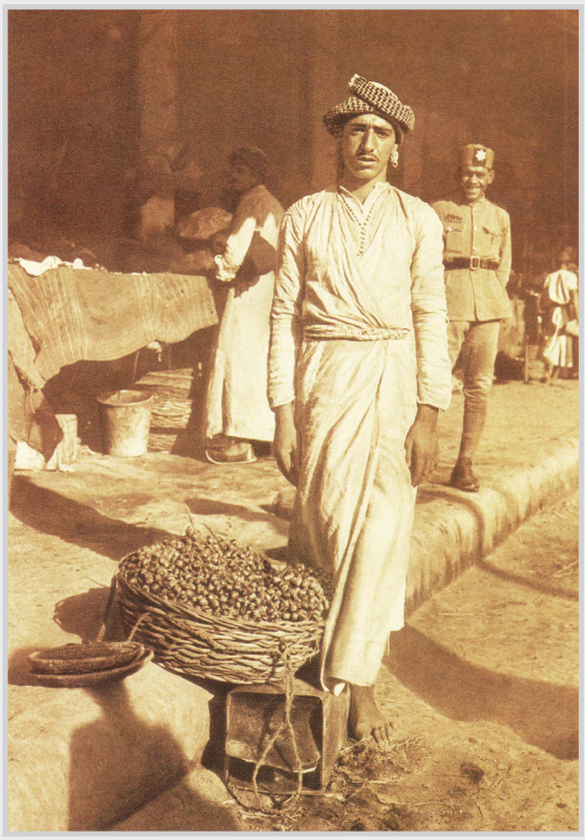

تمور للبيع على رصيف شارع بغدادي قديم- يلاحظ زي البائع وملابس الشرطي العراقي القديمة

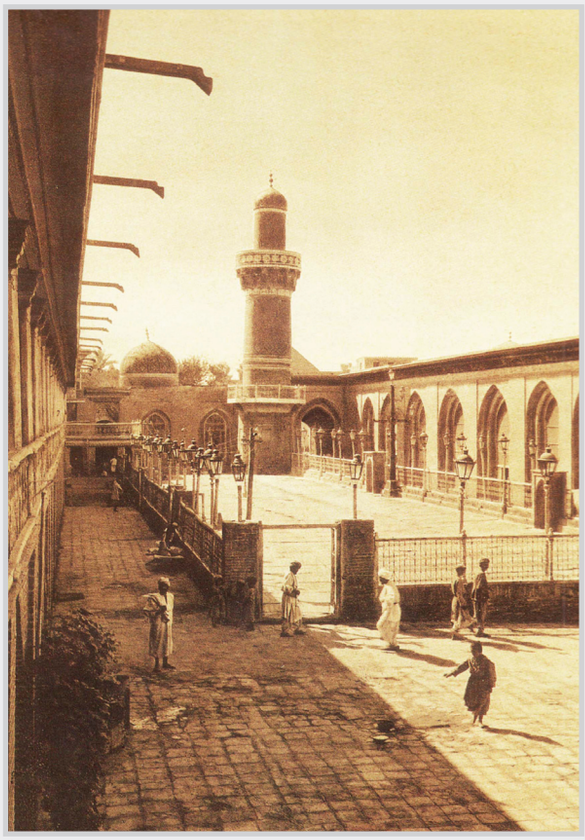

الفناء الداخلي لمسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني.. قديماً

ميثولوجيا الخلود في تراث وادي الرافدين

د. خزعل الماجدي

علينا أول الامر التمييز بين عقيدتين يبدو عليهما التداخل «والاشتباك»: اولاهما عقيدة الخلود، وهي العقيدة التي تخص الآلهة في تراث وادي الرافدين مع استثناءات بشرية قليلة، وثانيتهما عقيدة الحياة بعد الموت، وهي العقيدة التي تخص البشر في تراث وادي الرافدين مع استثناءات الهية قليلة ورغم ان العقيدتين تلتقيان في منطقة مشتركة الا انه من المؤكد ان عقيدة الحياة قبل الموت عقيدة مبكرة سابقة على عقيدة الخلود فقد اعتقد بها الانسان القديم في العصور الحجرية ويدل على ذلك طريقة دفنه لموتاه اما عقيدة الخلود فهي نتاج ظهور الالهة في حياة البشر وتأكد عجز الانسان امام قوى الطبيعة الهائلة وهي عقيدة أشد رقياً من عقيدة الحياة بعد الموت لن زيادة الفصل بين الاله والانسان عن طريق عقيدة الخلود كان باعثاً اساسياً للتطور الفكري والعقائدي.. ومن هذه النقطة نهض الدور الاخلاقي للديانات التوحيدية بل قد اتاح هذا الفصل طريقاً معبداً لفهم الحياة العلماني الذي نقل البشرية الى مستوى افضل.

ان هذا البحث يستبعد حقل عقيدة الحياة بعد الموت المرتبط غالباً بالبشر ويحاول رصد عقيدة الخلود وهي تترد بين الالهة والبشر في تراث وادي الرافدين ذلك التردد الذي سنراه واضحاً في خوض الالهة في الموت ومشابهتهم للبشر وخوض البشر في الخلود ومشابهتهم للالهة.

لعل أول ما يلفت الانتباه في تراث وادي الرافدين ذلك الفرق الجوهري بين خلود الالهة وخلود البشر فخلود الالهة خلود ساكن لا يعمل تصاعداً دراماياً في طياته بينما خلود الانسان ومحاولته لنيله خلوداً متحركاً تشوبه قوى الصراع والدراما التي تجعل منه نشطاً وحيوياً ولذلك فقط يتحول خلود الالهة الى دراما عندما يتعرض الى عصف الموت عن طريق نزول الالهة الى العالم الاسفل او صعود قوى العالم الاسفل الى الاعلى مثل زو، أساج، اللابو، ايرا.. الخ

كذلك يتعرض خلود الانسان الى خلود ساكن سلبي عندما يناله الانسان تماما وقد ناله في كل تراث وادي الرافدين بشكل مؤكد انسان واحد هو اوتونا بشتم البابلي او زيوسدرام السومري معه زوجته وقائد مركبه، وبشكل مشكوك فيه الملك دعوزي والملك اينميدر- أنا لكن اوتونابشتم ملك شروباك وحكيمها ينال الخلود ويقصى الى جنة الالهة على الارض الى دلمون البعيدة هذا الانسان الذي ستصفه الادبيات الاسلامية لاحقاً بالانسان الكامل ممثلاً في شخصية نوع المعروفة وفي ذلك الوصف ما يدل على السكون والاكتمال.

ان تعرض الالهة الى حالات الموت امور اريد بها التعبير عن واحد من شيئين اما ايقاع الطبيعة الذي يقضي بظهور وغياب رموزها كالقمر والشمس والفصول والامطار والرياح.. الخ او الى كوارث الطبيعة المفاجئة كالطوفان والزلازل والحروب والامراض حيث يفلت زمام قوانين الطبيعة التي تمسك بها الالهة وفي الحالين تلمح الخروج من المركز الالهي الساكن الى المحيط البشري الضاج بالمتحولات ان خروج الالهة من هذا المركز الصارم في سكونه برهة سينشط حركتهم وسيضفي عليهم الحيوية حتى ان عودتهم الى المركز الالهي ستكون بمثابة تنشيط المطلق الالهي ذات الطابع الهيولي والازلي.

اما نزوع الانسان نحو الخلود فمتأت من الاشارة الى عظمته ورقيه وقوته وقيامه ببطولات كبيرة لكن البطولات الكبيرة مهما عظمت لا يمكن ان تمنح هذا الانسان خلوداً كخلود الالهة الا اذا قام بعمل يشبه ما تقوم به من خوارق مثل: انقاذ الجنس البشري على يدي اوتونابشتم اما الاعمال الاخرى الاقل من هذا المستوى فجديرة بها صبغ اخرى بدلية عن خلود الحياة مثل خلود الذكر والتكاثر والمعرفة وغيرها.

وفي جميع الاحوال تتلامس اصابع الالهة مع اصابع الانسان في منطقة الخلود هذه حيث تسلم اصابع الالهة نواميس الطبيعة لبرهة للانسان فيخلد في حين تتعرض هي الى مصير يكاد يشبه مصير الانسان ان دورة المصير بين الالهة والانسان هذه هي في حقيقتها دورة بين الله والنوع البشري ككل لان ظهور باحثين عن الخلود في العصور امر لابد منه والدافع «الفطري الى الخلود الشخصي او الرغبة العامة في هذا الخلود يوحيان بان الغريزة، غريزة ما، ولتكن ما تسمى غريزة حفظ النوع لها دخل كبير ذلك لان تحقيق الخلود الشخصي يشبعها.

خلود الالهة

الى اين تسعى يا جلجامش
ان الحياة التي تبغي لن تجد
حينما خلقت الالهة العظام البشر
قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة

هذه الحقيقة الموجهة من سدودي الى جلجامش وهو في طريق بحثه عن الخلود تكاد تكون حقيقة نهائية لا يتناقض فيها التراث العراقي الديني والدنيوي فالالهة خالدة والانسان ميت فقد وجدت الالهة لتعيش الى الابد وتضبط مصائر الوجود والعالم والانسان، وهي الموجود الرئيسي في هذا الكون والحالة في كل زاوية فيه اما الانسان فموجود على سطح الارض كجسد وروح وتحت سطح الارض كروح محبوسة فمكان الانسان في الكون محدود للغاية اما الالهة فلها كل امكنة الكون حتى الارض وماتحتها فقد قسم سكان وادي الرافدين الكون الى ثلاثة اقسام هي (السماء التي اعتبرت مقر الالهة والثاني الارض اما القسم الثالث فهو الما بين وهو الذي يفصل السماء والارض وهو الهواء الذي جسد بالالهة انليل سيد الهواء لقد ورد في النصوص المسمارية بان الارض تقسم الى ثلاثة اقسام الارض العليا التي يسكن عليها البشر والارض الوسطى التي اعتبرت مقام الاله (انكي/ أيا) والارض السلفى وهي العالم الاسف او عالم الاموات) ان الالهة موجودة بشكل رئيس في السماء بزعامة انورالى السماء الذي يترأس الهة المجتمع الالهي ويتجاوز عددهم بضعة الاف ويسمون الايكيكي وله سلطة رئيسية على مجتمع الانوناكي وعددهم خمسون يقررون المصائر ومقرهم على الارض يسيطرون على الظواهر الكبرى منهم سبعة آلهة عظيمة تجوب الارض يسطيرون على الظواهر الكبرى منهم سبعة الهة عظيمة تجوب الارض بهيبة وعظمة لكن لها مقرات ارضية هي المعابد الكبرى (الـزقـورات) ومقرات سماوية هي الكواكب لكن المثير في الامر حقاً ان الاساطير العراقية القديمة لا تشير الى وجود فردوس سماوي بل تؤكد وجود سبع سماوات ولعلها بذلك تشير الى اماكن للكواكب السبعة التي يوجد كل منها في سماء اما الفراديس الالهية فهماً فردوسان الاول دلمون تلك الارض التي تقع بعيدة قصية الجنوب الشرقي من ارض الرافدين في الخليج العربي وهي البحرين وقد ذكرتها الاساطير كانها راسب مثيولوجي قديم يذكر بفردوس مفقود وبعصر ذهبي عاشه الانسان ولذلك قصره على الالهة الان فقد عاش فيها وما زال الاله انكي وزوجته ننخر ساج وهما خالقا الانسان ونظيرهما الالهيان ففيها ما يشبه آدم وحواء ولذلك جاء الفردوس الثاني (عدن) مطابقاً لاوصافه في دلمون وقريباً منه بعض الشيء (ومن المحتمل ان التسمية جاءت من الكلمة السومرية edin بمعنى (السهل، الاراضي الزراعية السهلة)، وبالاضافة الى هذا المدلول العام يظهر من النصوص السومرية من عصر فجر السلالات الثالث في حدود ٢٤٥٠ ق.م ان edin كانت تطلق على المنطقة السهلية الواقعة جنوب مدينة اوما (جوخة) وغربي مدينة لكش وهي المنطقة التي كانت سبب صراع طويل بين هاتين المدينتين كما هو واضح في الوثيقة السومرية التي جاءتنا من انتمينا احد امراء لكش)

وتنتشر الالهة في العالم الاسفل حاكمة له ومسؤولة عن ارواح الموتى وعن جيوش من المردة والعفاريت والشياطين التي تستخدمها في احكام سيطرتها على العالم الاسفل او احداث الامراض والخراب في العالم الاعلى عندما تريد ذلك وهكذا فلالهة كل شيء، الخلود والكون والمصائر، اما للانسان الموت وسطح الارض بشروط وما عليه الا طاعة الالهة ان هذا الفصل الحاد بين الالهة والانسان هو الذي مهد الى خلق فكرة التوحيد التي تقضي بوجود اله واحد قوي بينه وبين الناس هوة لامتناهية.

١. قتل الالهة:

كان قتل الالهة امراً نادر الحصول في الاساطير الرافدينية لكننا نراه واضحاً في اساطير الخليقة (gensis metheology) عموماً سواء كان ما يتعلق منها بالكون او الالهة الجديدة او الانسان فالالهة بجسدها القديم المفتول مصدر الكون او الانسان ومصدر الالهة الجديدة التي تعمل على قتلها بعد انجابها.

ان قتل الالهة من اجل خلق الكون يتضح بصورة واضحة للغاية في اسطورة الخليقة البابلية (اينوما اليش) حيث يقتل الاله (إبا) الاله (أبسو) او جده ويبني بيته فوق جسده حيث يصبح ايا اله المياه وابسو المياه العميقة ويسكن (أيا) مع زوجته (دام- كينا) في هذا البيت وينجبا ابنهما البكر الاله (مردوخ) الذي يكبر ويتوج ملكاً على الالهة ويقتل الالهة الغولة (يتامت) ويصنع من جسدها السماء والارض والتضاريس والانهار.

اما الانسان فقد خُلق من دم الاله (كنكو) ممزوجاً بالطين وهناك اسطورة اخرى تذكر ان الاله انليل اختار مع الاله انكي والالهة (ماما) احد الالهة الصغار المحتجين او المعارضين الذي كان اسمه (وي) او (وي-ايلا) ليذبح ويخلط لحمه ودمه بالتراب وهناك اسطورة اخرى تقرر ان الاله انليل بامر من الهة الانوناكي المكلة بالسماء والارض يذبح عدداً من الالهة المسماة (لامكا) وهي آلهة البناء والعمل في منطقة اوزموا في مدينة نفز ليخلقوا البشر.

اما الغرض الثالث لقتل الالهة فهي خلق نسل جديد من الالهة ويظهر ذلك بوضوح في اسطورة الخليقة عندما تجهز الالهة الجديدة (أنتو، أيا، مردوخ) على قتل الالهة القديمة (تيامت، أبسو، ممر) ويتضح هذا اكثر في اسطورة (دنو) الخاصة باصل الالهة وهي واحدة من اهم الاساطير التي اثرت كثيراً في اساطير اصل الالهة اليونانية ويظهر في هذه الاسطورة ان الالهة والعالم وجدا اولاً مع ظهور الاله (خاين) والالهة الارض اللذين انجبا الاله (أما كاندو) وهو اله الحيوانات الوحشية والالهة البحر فيقوم (اماكاندو) بقتل ابيه (خاين) وتزوج امه الالهة الارض ومن زواجهما ينتج زوج جديد من الالهة هما لاخار اله المواشي والهة النهر وكذلك يقوم لاخار بقتل ابيه اماكاندو والتزوج من امه الهة البحر وهكذا وبصورة عامة نرى ان الالهة تموت او تقتل ولكنها لا تزول نهائياً بل تبقى في عناصر الطبيعة (الكون، الانسان، الالهة) مستمرة فالغاية من موتها هو ظهور نسل جديد نشط من الالهة يحكم سيطرته على الطبيعة او يخلق الطبيعة من بقايا الالهة القديمة او خلق الانسان الذي سيقوم بدور بخدمة الالهة ويساعدها على اعمالها أي ان التضحية بالالهة كان يجري لخدمة الكون والطبيعة والخلود ولا يجري تعسفا او خطأ حيث تتحول الالهة القتيلة الى شيء او هيئة اخرى في الطبيعة وهذا لا يعني زوالاً أبدياً لها.

٢- زيارة الالهة الى العالم السفلي من اجل حكمه

برغم ان العالم الاسفل هو عالم الموت الا انه جزء من الكون الذي خلقته الالهة والذي يجب ان تفرض عليه حكمها وسيطرتها وهناك اراء تقول ان العالم الاسفل ما هو الا الشكل اللاحق لعالم الالهة الميتة المقتولة القديمة التي تحولت بفعل الزمن الى عوامل شريرة منها الموت لكن الالهة الجديدة لابد من ان تحكم هذا العالم والا انفجر عليها بالموت في أي وقت ولذلك نلمح في الاسطورة السومرية القديمة ان اله (كور) الذي يعني الجبل او الشرق او العدو ي قوم باختطاف الالهة الصغيرة السن اريشكيكال اخت الالهة عشتار من العالم العلوي الى العالم السفلي وتبقى هذه الالهة هناك وتتحول الى حاكمة الهية عليه ثم تقوم هي باختيار زوج لها من العالم العلوي وهو اله (فرجال) في اسطورة طريفة وتنزله الى العالم الاسفل ليقاسمها ملك هذا العالم وهذان هما الالهان الوحيدان من بين الالهة اللذان يقضيان كل حياتهما في العالم الاسفل ولكن كملكين مع نسلهما من الهة الطب والشفاء مع شياطين العالم الاسفل الذين يسببون الامراض والاوبئة وبذلك يصبح نسل الهة العالم الاسفل الهة ضد المرض وتكتمل معادلة العلاقة بالانسان فالالهة العليا تمنحه الحياة والقوة والعمل والالهة السفلى تمنحه الشفاء، والشفاء هو نوع من انواع البقاء لكن الموت امر لابد منه للانسان.

٣- الموت المؤقت للالهة: خطف الالهة ونزولها للعالم الاسفل

هناك اساطير محدودة تشير الى الموت المؤقت للالهة بعضها يفسر دورات الطبيعة الشهرية او السنوية وبعضها الاخر يفسر كوارث الطبيعة وتتميز هذه الاساطير بحيويتها ودراميتها، بل ان هذه الاساطير كانت المادة الاولى لظهور فن الدراما الجماعية او المسرح القديم في وادي الرافدين لما تتضمنه من عناصر صراع واضحة وهذه الانواع الدرامية هي التي مهدت لظهور الدراما الديونسيوسية اليونانية والتي كانت الرحم الذي ظهر من المسرح اليوناني.

هناك اسطورة واحدة هي (أيرا ومردوخ) التي تشير الى اختطاف مردوخ الى العالم السفلي واضطراب نواميس الطبيعة والتي نراها تشكل فيما بعد جزء من تمثيليات عيد رأس السنة البابلي (الأكيتو).

كتاب جديد

السادة الأميال

طالب حنويت

صدر للباحث فيصل غازي الحسيني الميالي كتابه الموسوم القول الجميل في ذكر ذرية السيد علي الميل ((نسب وتاريخ قبيلة السادة الاميال في العراق))

فيصل غازي الميالي ويقع الكتاب في ٤٣٤ صفحة من القطع الكبير وتناول الكتاب نسب وتاريخ قبيلة السادة الاميال في العراق وهي من القبائل العربية العلوية عريقة التوطن في العراق.وقد جاء هذا الكتاب بمقدمة وخمسة فصول تضمن الفصل الاول جذور القبيلة بدءاً من جدها الاعلى السيد زيد الشهيد بن علي بن الحسين عليهم السلام ومرورا بالسيد محمد الكريم المفضل بن زيد الشهيد وولده الثائر على حكومة العباسيين المؤيد محمد بن محمد، ومن بعد ذلك لمحة تاريخية عن السيد عل يالحماني الشاعر العلوي المفوه والمرور بمقام السيد علي الغرابي (الغربي) وشذرات عن اكبر الجامع لهذه القبيلة السيد علي الميل (الميس. خ. ل).

كما تضمن الفصل الثاني تحليل المصادر التاريخية في نسب قبيلة السادة الاميال وما قيل فيه وما كتب عنه من قبل المؤلفين وكتاب التاريخ مع شهادات النسابين بشأن هذه القبيلة، وتضمن الفصل الثالث لمحة عامة عن كل عشيرة من عشائر قبيلة السادة الاميال وحملة الشهادات العليا فيها والادباء والفنانين والمحامين والاطباء والقضاة والمهندسين.. كما جاء بالفصل الرابع التاريخ الداخلي للسادة الاميال ومشاركاتهم الوطنية والدينية في العراق مع التوزيع الجغرافي لانتشار القبيلة في العراق وخارجه وبالذات في سوريا والمملكة العربية السعودية ومصر والسودان وتركيا وايران، كما تضمن الفصل الخامس (منارات على الطريق) اربعة مباحث اذ تضمن المبحث الاول منه اعلام ووجوه واعيان قبيلة السادة الاميال وتضمن المبحث الثاني شهداء قبيلة السادة الاميال الذين اعدمهم نظام الطاغية وجاء في المبحث الثالث من الفصل ذاته البيوت والاسر التي تزعمت قبيلة السادة الاميال في العراق. وجاء في المبحث الرابع والاخير المراقد المشرفة والمقابر والمقامات والمزارات الخاصة بقبيلة السادة الاميال المبثوثة في انحاء العراق..

حكاية من الاسكا

الدموع الأولى

ترجمة: عادل العامل

قبل زمنٍ طويل، ذهب الرجلُ ليصطادَ على امتداد حافة الماء الفقمات. وقد سُرَّ الرجلُ لكثرة الفقمات التي كانت تتزاحم هناك معاً على طول الساحل. فهو سيُحضر بالتأكيد وليمةً كبيرةً للمرأة والابن. وهكذا راح يزحف بحذر نحو الفقمات. وبدا على الفقمات الاضطرابُ. فأبطأ الرجل من حركته. وفجأةً، بدأت الفقمات بالانسياب إلى داخل الماء. وأصاب الرجلَ الاهتياج. فقد كانت وليمته تبتعد عنه.

وعندئذ، رأى الرجلُ فقمةً منفردةً وراء القطيع، لم تكنْ تتحرك بمثل سرعة الأخريات. آه! تلك هي جائزته. وراح يتخيل الافتخار على وجه المرأة، والبهجة في عينَي الابن. فسوف تكون بطونهم مليئةً لأيام كثيرة من تلك الفقمة.

زحف الرجلُ نحوَ الفقمة الأخيرة. فلم تَرَه، أو هكذا فكر الرجل. وفجأةً، وثبت بعيداً وانسلّت إلى داخل الماء. نهض الرجلُ على قدميه. كان مفعماً بانفعال غريب. شعر بأن الماء بدأ يتقاطَر من عينيه، لمس عينيه وتذوَّق القطرات.. أجل، كان مذاقها شبيهاً بالماء المالح. وراحت أصوات مختنقة تصدر من فمه وصدره.

سمع الابن صيحات الرجل فنادى المرأة. وركضا إلى الساحل ليكتشفا ما الذي أصاب الرجلَ. ذُعرت المرأة والابن عند رؤيتهما الماءَ يتدفق من عينَي الرجل.

أخبرهما الرجلُ عن الساحل المليء بالفقمات. وقال كيف أنه طاردها، وكيف أن كلَّ فقمة نجت من سكِّينه. وحين كان يتكلم، راح الماءُ يجري من عيون المرأة والابن، وأخذا يصيحان مع الرجل. وبهذه الطريقة، تعلَّم الناس البكاءَ للمرة الأولى.

وبعدئذ، اصطاد الرجل والابن فقمةً معاً. وقتلاها واستعملا من جلدها طُعماً لصيد المزيد من الفقمات.